محمد السعيد الزاهري والصحف المشرقية

مجلة الرسالة أنموذجا

أ.عايدة حباطي

الملخص:

يعد محمد السعيد الزاهري من ألمع الشخصيات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ومن أبرز أعلامها؛ امتد نشاطه الصحفي وطنيا وعربيا، وتميز دون باقي أقرانه بقلم سيال، وطرح جريء لمختلف المواضيع، فلمع اسمه مغاربيا وعربيا، وعُد واحدا من نبغاء الأدب العربي؛ كطه حسين، والرافعي، والزيات، بمراسلاته لمختلف الصحف العربية؛ كالفتح والمقتطف والرسالة.

إنا نتساءل في هذا المقام عن نوعية مراسلاته؟ أكانت سياسية أو إصلاحية أو أدبية؟ وما هي أهم المواضيع التي طرقها؟ ومدى تفاعله مع المشرق، الذي شهد زخما فكريا، فهل تقاطعت أفكاره ومفكري المشرق؟ أم انفرد بطرح خاص للأفكار، وذلك من خلال مشاركاته في الصحف المشرقية؟ خاصة مجلة الرسالة التي اتخذتها نموذجا عن مراسلاته؟ وكيف استقبلت الصحافة المشرقية علما من أعلام المغرب العربي؟.

Abstract:

Mohamed al-Said al-Zahiri is considered one of the most distinctive and active figures in the contemporary history of Algeria. His works are very popular in Algeria and the Arab world as well. Moreover, writing about different topics freely and openly made him a well known author in both Arab and Maghreb world, along with many other brilliant writers as: Taha Hussein, Al-Rafe'i, Al-Zayyat, etc. He also rose to fame thanks to his letters to some widely read newspapers, like: Al-Fat'h, Al-Moktataf and Al-Rissala. And now we are basically questioning the type and content of those letters; whether they were political or literary, and to what extent they were related to Middle East. Thus, we chose "Al-Rissala" magazine to be our case study in order to see how newspapers in Middle East perceived

عرف المشهد الفكري والإصلاحي في الجزائر، ظهور شخصيات فعالة بعطائها المتنامي والمتميز، دون أن يكون لها حضورا يعكس مكانتها العلمية والأدبية والإصلاحية، وهو ما يثير في الذاكرة التاريخية العديد من التساؤلات؛ عن سبب تهميش هؤلاء الأعلام، وتعتيمهم إعلاميا، فظلوا بذلك طي النسيان.

فلسبب أو لآخر، اهتمت بعض الدراسات بثلة من رواد الحركة الإصلاحية دون غيرهم، بينما طمست آخرين، رغم رصيدهم الفكري المدوَّن في الكتب والمقالات المحررة على أعمدة الصحافة الجزائرية والعربية، ودورهم الإصلاحي والتعليمي، ومن هؤلاء محمد السعيد الزاهري؛ الذي اتفقت جل الدراسات التي تناولته بالبحث، على قلتها[1]عن اقصاء الرجل، وعدم الالتفات لجهوده الفكرية والإصلاحية والأدبية نثرا وشعرا، خاصة في مرحلة ما بعد الإستقلال, في حين لمع نجم رواد إصلاحيين؛ كابن باديس والإبراهيمي والعقبي والمدني، وجمع شتات قصائد شعراء آخرين في دواوين؛ كمحمد العيد آل خليفة وأبي اليقظان.

والمطلع على رصيد الزاهري، يتيقن أنه ذو قلم سيّال وطرح جريء لمختلف القضايا التي عرفتها الجزائر والعالم العربي، فاستحق معها الإحترام والتقدير وطنيا وعربيا؛ بأن نعتته الشهاب البادسية، بالشاعر الملي الكبير، وعدَّه شكيب أرسلان (1869-1946) أحد أعمدة النهضة الأدبية وحملة عرشها، والذين ذكر منهم؛ عبد الحميد بن باديس والميلي والعقبي والزاهري[2]. ونافس عربيا فطاحلة الأدب العربي في المشرق؛ كطه حسين، والرافعي، والزيات محللا وناقدا وقاصا، من خلال كتابته في الصحف المشرقية، والتي ستكون لنا معها وقفة خلال هذا المقال.

ومن هنا نجد أنفسنا أمام جملة اشكالات منها: ماهي عناوين الصحف المشرقية التي اتصل بها الزاهري؟ وما هي المواضيع التي طرقها هل كانت سياسية أم إصلاحية دينية أم أدبية؟ وما هي منطلقاته الفكرية في المعالجة؟ وما مدى تأثره بالنقاشات الفكرية والأدبية المثارة في هذه المجلات، خاصة مجلة الرسالة، التي أمَّها الأدباء وكبار الشعراء؟.

---

[1]- من المصادر والمراجع التي تناولته: محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926. صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. وأعمال أكادمية أخرى؛ كعبد السلام ضيف: محمد السعيد الزاهري كاتبا، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 1993-1994. وأحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006. وعبد الكريم طبيش: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري، من خلال جريدة البرق، دراسة احصائية فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006- 2007. ورغداء محمد أديب زيدان: «محمد السعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير»، مجلة التراث العربي، ع107، س27، إتحاد كتاب العرب، دمشق، تموز 2007، ص ص 69-80.

[2]- مجلة الشهاب، مج6، ج8، سبتمبر 1930، 468.

1. نشأته وتكوينه:

هو محمد السعيد الزاهري بن البشير بن علي بن ناجي المولود في منطقة ليانة[1]سنة 1900م، وهي السنة المرجحة[2] لدينا، والتي ذكرها شخصيا في ترجمة حياته لكتاب شعراء الجزائر، حين قال: «في 25 شعبان 1344هـ نفضت يدي من ستة وعشرين عاما»[3]، وهي السنة الموافقة لسنة 1900 ميلادية.

تلقى تعليمه الأولي على مستوى بلدته ليانة، أين حفظ القرآن منذ السابعة من عمره في الكتاتيب القرآنية على غرار جل أقرانه من الجزائريين. ثم مبادئ الفقه والتوحيد والنحو على يد جده لأبيه علي بن ناجي، الذي لمح في الطفل نهما للتعلم بكثرة أسئلته[4]. ثم عمه عبد الرحيم الزاهري، الذي قال عنه: «فما كان له همٌّ إلا أن يبلغني إلى حيث بلغ هو من العلم، فلم يدع سبيلا لتفهيمي إلا سلكها...فيُملي عليَّ ما ينفعني»[5]. ليواصل تعليمه في الأسرة الزاهرية، التي أحاطته بالرعاية، فأخذ علم الفرائض أو المواريث عن الشيخ محمد بن ناجي الزاهري، والشيخ علي بن العابد السنوسي[6].

فكان تلقينه في هذه المرحلة يعتمد بشكل كبير على نوع من الحرية في طرح أفكاره واستفساراته، وربما مرد هذه الحرية لكونه تربى بينهم يتيم الأب، فلم يأت الزاهري على ذكر أبيه في أية مرحلة من مراحل حياته، وهو الأمر الذي افتقده أثناء مواصلته لدراسته على يد عبد الحميد بن باديس، عند تنقله إلى قسنطينة، التي ظل فيها مدة ناهزت الأربعة عشر شهرا، لم يتحمل خلالها الزاهري الانضباط الذي فرضه الشيخ في درسه، وعدم رضاه عن ابداء انتقاداته والتي عُنف لأجلها أكثر من مرة، الأمر الذي اعتبره الزاهري ضغطا على الأفكار، وقتلا للمواهب، مع اعترافه لشيخه بالعلم العريض والإطلاع المحيط واللسان العربي المبين، ما جعله يقرر العودة إلى مسقط رأسه[7].

وفي هذه المحطة من محطات الزاهري التعليمية، نرى أن قسنطينة كانت من المؤكد محطة حتمية للزاهري وغيره، ممن يرغب في الاجتياز لتونس والمشرق العربي قصد التعلم. إلا أننا نفتقد للتفاصيل التي حملت

---

[1]- ليانة قرية من قرى الزاب الشرقي ببسكرة

[2]- تضاربت التواريخ التي أرخت لميلاد الرجل، فمنهم من جعله سنة 1897، في حين ذهب أخرون إلى سنة 1899، فيما ذهب بعضهم الأخر إلى سنة 1901، ومرد هذا التضارب تأخر تسجيل المواليد في سجلات الحالة المدنية، فقد تم تسجيل الزاهري في تلك السجلات سنة 1936، وعمره آنذاك 35 سنة. للمزيد انظر: أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير مخطوطة، ص2.

[3]- محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج1، ص63.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص64.

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص65.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص65.

[7]- المصدر نفسه ، ج1، ص65-66.

الزاهري للتنقل إليها، ولا تاريخ هذه الرحلة.

وفي محطة تعليمية أخرى، قصد فيها الزاهري جامع الزيتونة بتونس، للحصول على الشهادة العالمية "التطويع". لازم فيها الأساتذة، وأخذ عنهم كلام العرب ونقده، صحيح في ذوقه، وحزمه في تمحيص الحق من الباطل، في كل مسألة تعترضه على حد تعبيره[1]. وقد أشاد الزاهري بدور الزيتونة وكان يفتخر بالانتساب إليها، كما أشاد بأساتذته هناك، خاصة منهم معاوية التميمي[2]الذي لازمه ملازمة الظل لصاحبه[3]. وعرف الزاهري في تونس نشاطا مميزا؛ فارتاد مكاتبها، وحضر نواديها الفكرية والأدبية، مسامرا ومنادما لروادها وزوارها، كما بدأ فيها –تونس– يصقل قلمه الصحفي، كأديب وشاعر وناقد عبر صفحات جريدة النهضة[4]والوزير[5] والزهرة[6]، وتفاعل مع أحداثها.

وبعد تخرجه عاد إلى الجزائر(1925)، بمعية العائدين، الذين حملوا هموم الجزائر في قلوبهم، وكلهم حماس لتغيير واقعهم وإصلاحه. فشارك بقلمه في الحركة الثقافية والتعليمية في بسكرة والأغواط سنة 1927، وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين، وانتخب عضوا في مجلسها الإداري بعد عام من تأسيسها. وبسط نشاطه الاصلاحي ما بين (1932–1938) في وهران، التي أسس بها مدرسة وناديا ثقافيا للإصلاحيين[7]. ومنذ 1938 بدأ الزاهري ينحرف عن المنهج الإصلاحي، ويبتعد شيئا فشيئا عن الجمعية وأعضائها، تعاظم الخلاف بينهم غداة الحرب العالمية الثانية، وأصبحت خصومة وهجاء كتلك التي وقعت بينه وبين الإبراهيمي.[8]وقد تبنى –الزاهري– مع تأسيسه لجريدة الوفاق (1938) مبادئ أخرى تقوم على سياسة التقارب بين جميع أطياف الجزائر؛ بما في ذلك الطرقيين الذي كان عدوهم اللذوذ فيما قبل.

وغداة الثورة التحريرية، وبسبب موقفه الجريء الذي ساند فيه مصالي الحاج، المنشق عن صفوف حزب

---

[1]– محمد الهادي السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص66.

[2]– معاوية التميمي (ت1944) من علماء جامع الزيتونة، انتدب للتدريس به سنة 1925. صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص25.

[3]– محمد الهادي السنوسي: المصدر السابق، ج1، ص65.

[4]– جريدة النهضة التونسية، أسسها الطاهر بن الحاج مبروك، ورئيس تحريرها الشاذلي القسطلي، وهي من الصحف ذات الاتجاه الوطني الاستقلالي، كان ظهورها ما بين (1923–1953).

[5]– الوزير؛ أسسها الطيب بن عيسى ذو الأصول الجزائرية، ظهرت ما بين (1920–1956).

[6]– الزهرة، مؤسسها عبد الرحمان الصندالي، شهد ظهورها عدة تقطعات خلال المدة الممتدة مابين (1889–1953).

[7]– علي مراد: الحركة الإصلاحية الاسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي 1925–1940، تر: محمد يحياتن، ط2، دار الحكمة الجزائر، 1999، ص131.

[8]– البصائر، "إلى الزاهري"، ع61، 27 ديسمبر 1948. والبشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 (عيون البصائر)، جمع وتحقيق: أحمد طالب الإبراهمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص558.

جبهة التحرير الوطني، جعل هذا الأخير يصدر أمرا بتصفيته الجسدية سنة 1956. وهي السنة التي تم اغتياله فيها.

وفي الحقيقة كانت لهذه المواقف التي تبناها الرجل، وزيغه عن المنهج الإصلاحي، من أهم الأسباب التي جعلته يعد عدوا للقضية الوطنية، ويلحقه الإقصاء والتهميش.

2. نشاطه الصحفي:

لقد أبدى الزاهري اهتماما خاصا بالصحافة، لإدراكه مدى خطورتها في تطور الشعوب، وتحررهم من طغيان المستعمر، منذ عودته إلى الجزائر (1925)، عكس فيها توجهه الفكري، وأهدافه السياسية والتهذيبية، وتطلعاته الأدبية، فواكب فيها تغيرات المجتمع، وساير قضاياه السياسية والاجتماعية والثقافية، فساهم في نشر الوعي الديني والاجتماعي والوطني في فترة بدأت النهضة الفكرية تدب إلى الجزائر مع العائدين من ديار الهجرة والمتعطشين لتغيير أوضاعهم.

وكان اقتحامه لهذا الميدان مبكرا، تزامن وفترة تواجده في تونس من أجل التحصيل العلمي في الزيتونة[1] فكانت جريدة النهضة التونسية، أول من أتاح له فرصة الكتابة على صفحاتها بقصيدة "رسائل تهنئة" في عددها الرابع، يهنئ فيها الجريدة بمناسبة تأسيسها، ومما جاء في بعض من أبياتها[2]:

إن الجرائد مرآة الشعـــوب بها ترى ونعلم ما إليه قد وصلوا

حييت من نهضة بالشعب ناهضة إلى المكارم لا ينتابك الفشل

وإذا أردنا تقييم نشاط هذا العلم الصحفي، الذي طال أمد نشاطه في هذا الميدان إلى ما يقارب ثلاثة عقود، خلَّف فيها إرثا فكريا وثقافيا غزيرا؛ يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أصناف؛ مؤسس لبعضها ، ومشارك في بعضها، ومراسل لصحف أخرى.

فقد أنشأ منذ عودته إلى الجزائر، جريدة الجزائر (1925)التي حملت شعار "الجزائر للجزائريين"؛ وهو شعار خطير؛ فالمطلع على أوضاع الجزائر في تلك الفترة من عشرينات القرن الماضي، يرى أن في هذا الشعار جرأة واندفاعا شبابيا غير معهود لجيل عصره، لما فيه من تحد لفرنسا الاستعمارية.[3]التي عطلتها بعد صدور عددها الثالث، لمضمون مقالاتها التي لم يختلف عن شعارها.[4] وقد حاول الزاهري في هذه الجريدة

---

[1]– محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص306-307.

[2]– أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص18. نقلا عن: مجلة النهضة، ع4، س1، 4أكتوبر 1923، ص3.

[3]– صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، ص32.

[4]– ففي العدد الأول منها، استهلها بقصيدة لامية بعنوان: "الجزائر تحي الجزائر"، وهي قصيدة حماسية، أراد أن يبعث بها همم الجزائريين،

أن يخلف جريدة الإقدام للأمير خالد بعد نفيه إلى الإسكندرية (1923)، وحظيت محاولته بالاشادة والترحيب[1]. ورغم وأدها المبكر بحجة ترجمة كلمة نهضة بالكلمة الفرنسية إلى ما معناها (الثورة)، وفرنسا الظافرة المنتصرة بفرنسا الظالمة الغاصبة[2]. إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة الرجل فأتبعها بجريدة البرق (1927)؛ التي عرّفها مفدي زكريا في معرض كتابه: "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" بأنها صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية، تصدر يوم الإثنين من كل أسبوع، مديرها وصاحب امتيازها السيد الرحموني محمد عبد المجيد، شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال... [3]. وقد جعل منها الزاهري منبرا اصلاحيا للرد على الطرقيين، وفضح أساليبهم، بعد أن طلبت الشهاب من الشباب تخفيف لهجتهم[4]. فأتت مقالاته بكل ألوان السخرية المريرة والضاحكة، شاركه فيها مبارك الميلي (البيضاوي)، والأمين العمودي (السمهري) والطيب العقبي والعزوزي حوحو[5].

وكان توقيع الزاهري فيها أحيانا باسمه الصريح، وفي أحايين أخرى بأسماء مستعارة؛ كفاتك، وتأبط شرا والرقيب، والراصد، والجساس، والصاعقة... [6]. وله بها ركن دائم في كل الأعداد تقريبا بعنوان قوارص؛ هاجم فيه الطرقية وشيوخها وأتباعها ومريدوها، وكان الزاهري عنيفا قاسيا جريء القلم، لا يتورع عن النيل من خصومه بشتى الأساليب، قد تصل إلى حد الإسفاف، على حد وصف محمد ناصر: «إن جبين الحياء

ويحرك مبدأ الإصلاح وتغير مآلهم مما جاء فيها:

ويا ويح أحرار الجزائر كم وكم يهيج عليهم من هموم وبلبال
لقد كسر الناس القيود وحطموا ونحن بقينا في قيود وأغلال

انظر: محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر،ج1، ص69.

ولم يقلل الزاهري من حدة قلمه في مواجهة فرنسا الاستعمارية في عدد الجريدة الثاني (20 محرم 1344/ 10 أوت 1925)، فكتب مقالا قصصيا، تحت عنوان :"المساواة فرنسوا الرشيد". ينظر: عبد المالك مرتاض: «صورة المقاومة الوطنية في قصة فرنسوا والرشيد للزاهري»، مجلة إنسانيات، ع21، مركز البحث في الأنتربولوجية والعلوم الاجتماعية، 2003، ص ص33-54.

[1]- قال عنها عبد الحميد بن باديس في المنتقد: «أنها جريدة سياسية أدبية أخلاقية اجتماعية، تصدر بالجزائر، لصاحبها الكاتب الشاعر الشيخ السعيد الزاهري، جلا علينا العدد الأول منها مقالات بليغة في متانة تعبير وسمو فكر ونبالة مقصد، وثقة ببلوغ الغاية، وجدير بها إذا كان السعيد واضعها وأن يكون السّعد مطلعها...» انظر: المنتقد، ع5، 11 محرم 1344هـ/ 30 جويلية 1925م، ص3. وقال عنها أحمد توفيق المدني: «إنها محررة بلهجة حرة لم تستطع الحكومة أن تستسيغها». انظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار المعارف، ط2، الجزائر، 1962، ص347.

[2]- حسب ما جاء على لسان الزاهري في مقاله: "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج9، ج9، 1933، ص405.

[3]- مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2008، ص180.

[4]- محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها وأعلامها، (1903-1931)، مج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص120.

[5]- محمد ناصر: المرجع نفسه، مج1، ص129-130.

[6]- انظر: عبد الكريم طبيش: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري، من خلال جريدة البرق، الذي تناول الجريدة بكثير من التفصيل.

ليتصبب عرقا من بعض قوارصه الماجنة».[1]

ورغم طول عمر جريدة البرق التي دامت6 أشهر، (7مارس إلى 15 أوت 1915)، ظهر خلالها 23 عددا، خلافا لجريدة الجزائر، إلا أنهما لقيتا نفس المصير، وهو التوقيف القصري.

أما جريدة الوفاق الأسبوعية (1938)؛ فقد جعلها منبرا لمنهجه الجديد، الذي سلكه بعيدا عن الجمعية، والداعي إلى التقارب بين مختلف الطوائف الجزائرية، بما في ذلك الطرقية، ونبذ الشقاق لمواجهة العدو المشترك، وخدمة الصالح العام[2].

وواصل الزاهري نشاطه الصحفي بأن أصدر جريدة المغرب العربي(1947)، والتي اختفت ثم عادت قبيل اغتياله سنة 1956، وقد ناصر فيها مصالي الحاج في خلافه مع حزب جبهة التحرير الوطني[3]. وكان ما نشره فيها مدعاة وسببا مباشرا لتصفيته (1956). بينما جريدة عصا موسى التي أسسها سنة 1950، وأسندها إلى مبارك عبد القادر، والتي شاركه في تحريرها مجموعة من الإصلاحيين[4]، وانتقد فيها جريدة الشعلة، التي أصدرها أحمد رضا حوحو[5].

كما شارك الزاهري إلى جانب الطيب العقبي في تحرير جرائد السنة والشريعة والصراط على التوالي؛ وهي جرائد أوكلتها الجمعية إليهما بالتحرير، وكانت الطرقية هي الموضوع الغالب عليها –الجرائد–، بفضح أباطيلهم ومنهجهم، ورذائلهم[6]. إلى جانب مواضيع تخص المرأة الجزائرية والتبشير...

---

[1]– محمد ناصر: المرجع السابق، مج1، ص131.

[2]– زبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1971، ص118-119.

[3]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص171. وللمزيد أيضا انظر:
Fatima Zohra Guechi : La Presse Algerienne de longue Arabe (Al Djazair al djadida) et (Al Magherbe al Arabi), 1946-1949,DEA, 1979.

[4]– مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية، ص188.

[5]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج5، ص272.

[6]–

المجلة	عنوان المقال	العدد	التاريخ	الصفحة
مجلة الشريعة	اعترافات طرقي قديم	7	7 جمادي الأول1352هـ/28أوت1933	5-2
الصراط السوي	زيارة سيدي عابد 1	6	4رجب1352/23أكتوبر1933	6-5
الصراط السوي	زيارة سيدي عابد 2	8	17رجب1352/6نوفمبر1933	6-4
الصراط السوي	زيارة سيدي عابد 3	12	16شعبان1352/4ديسمبر1933	5-4
الصراط السوي	زيارة سيدي عابد 4	13	23شعبان1352/11ديسمبر1933	6-4
الصراط السوي	زيارة سيدي عابد 5	16	15رمضان1352/1جانفي1934	3-2
الصراط السوي	اعترافات طرقي قديم	1	21جمادى الأولى1352/ 11سبتمبر1933	6-4

ونشر الزاهري العديد من الأعمال الأدبية (نثرية وشعرية)[1]، عبر مجلة الشهاب، تناول فيها قضايا دينية واجتماعية وتربوية أخلاقية. بينما اختصرت مشاركته في جريدة البصائر، السلسلة الأولى على موضوع إصلاحي واحد، وقصيدة شعرية[2]. كما بشر فيها –البصائر– بتأسيس جمعية إخوان الأدب[3]، دعا فيها الأدباء للالتحاق بها، ويبدو أن هذه الرغبة إنما جاءت مواكبة منه لما يحدث في المشرق من تأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية.

وأثرى الزاهري تاريخه الصحفي بمراسلاته لجرائد محلية وأخرى مغاربية ومشرقية، تفاعل فيها مع الأحداث الجزائرية والعربية؛ فراسل الإقدام الجزائرية، والإصلاح للعقبي. والصحف التونسية؛ كالنهضة والزمان والوزير، التي نشر فيها قصيدة إلى الأمير خالد بعد إبعاده إلى الإسكندرية بعنوان: "إلى الزعيم الجزائري"[4].

كما شارك في الصحف العربية بمقالات أدبية ودينية، تميز فيها بأسلوبه الشيق، الذي ميزه بشكل ملفت عن غيره، من خلال مراسلاته للفتح، والمقتطف، والرسالة.

3.إسهامات الزاهري في الصحف العربية:

لم تذكر المصادر المطلع عليها أن الزاهري زار المشرق، طالبا للعلم أو حاجا، ومع ذلك أبدى تعلقا به وارتبط بنهضته الفكرية، خاصة مع الهجمة الاستعمارية التي هدفت لقلع الجزائريين من جذورهم الإسلامية والعربية، واستئصالهم عن هويتهم الدينية واللغوية. فعلى غرار جل رواد الإصلاح الذين تعلقوا بالمشرق، ونخبته المثقفة من مصلحين وشعراء وأدباء، والذين استقبلوا بلهفة أخباره –المشرق– عن طريق الصحف والمجلات التي تصلهم بطرق شرعية، وأخرى خُفية تسلك طرقا غير شرعية، خشية اكتشاف الإدارة الإستعمارية لها، وهي التي فرضت حصارا حديديا على كل شارد وارد آت من هناك، ومع ذلك حدث

---

[1]– ومن شعره قصيدة معنونة بـ "ويح الجزائر"، عبر فيها عن آلامه، بسبب ما لحق الجزائر من ركون وسكون قال في مطلعها:

ما كان لي في حـاجة ومراد إلا تيقظ أمتي وبلادي
هبت جميع الناس من النوم ولم تزل الجزائر في لذيذ رقاد
هذه الحوادث أيقظت من هولها حتى الجماد فعاد غير جماد
ما للجزائـــر لا تحرك ساكنـــا أفلم يكـــن أبناؤها بعباد

ينظر: الشهاب، مج 2، ع85، 20شعبان 1345هـ/24 فيفري 1926، ص858-860.

[2]– من ذلك مقاله: "الإصلاحية بين نارين"، جريدة البصائر، ع6، 13ذي القعدة1354هـ/ 7فيفري 1936. وقصيدة: رأيت الأرض للساعين خلدا، البصائر، ع9، 5 ذي الحجة 1345هـ/28 فيفري1936.

[3]– البصائر، ع8، 28 ذي القعدة 1354هـ/ 21فيفري 1936. وع11، 26 ذي الحجة 1354هـ/20 مارس 1936.

[4]– محمد الهادي السنوسي: شعراء الجزائر، ج1، ص76-79.

التواصل والتفاعل والتأثر، وهو ما أقره أبو اليقظان في قوله: «أنا لم أتتلمذ عن صحافي فآخذ عنه أسلوبه، وإنما أخذت دروسا في السياسة عن الأستاذ عبد العزيز الثعالبي بتونس، ودروسا في أساليب الكتابة، بإدماني على قراءة الجرائد المصرية....»، ويردف محمد الهادي سنوسي قائلا: «من منا معشر الأدباء الجزائريين، من لم يفتح عينه منذ انتهت الحرب الكبرى على آثار مدرسة اسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه وأحمد أمين والمنفلوطي والزيات. والزيات من أفراد الرعيل االثاني، أقول الثاني؛ لأنهم سبقوا بطبقة الشيخ محمد عبده، ومن التف حوله من أمثال رشيد رضا...»[1]. وبدوره يقر الزاهري بهذه الحقيقة في مقاله: "مكانة مصر في المغرب العربي": «وما من شيء له أثر في حياة المغرب العقلية أو الاجتماعية إلا وهو مصري غالبا...». [2] ويواصل بقوله: «ولا يزال المغاربة ينظرون بعين الاعتبار إلى كل من طلب العلم بالأزهر الشريف، ولو أنه كان قليل التحصيل ويعترفون بالفضل لكل من أقام في مصر أو رآها...وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها القوي في هذا المغرب....وكل أديب كبير في مصر له أنصار وأشياع في بلاد المغرب»،[3]وختم كلامه بأبيات شعرية[4] قال فيها:

وإن الـذي هو ما بيننا وما بين مصر لمحض النسب

ربــاط العروبـــة يجمعنا ويجمـعنا دينـــنا والحسـب

يكمن اهتمام الزاهري بالمشرق في المواضيع التي طرقها، وعايش فيها أحداث العالم الإسلامي، سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وشارك بقلمه في الكثير من المسائل التي أثارت ضجة ونقاشا حادا، وتفاعل معها مستنكرا أو مؤيدا. فعاب على المصريين تعيين المستشرق فنسنك كعضو في المجمع اللغوي المصري، رغم ما عرف عنه من افتراءات على الإسلام، والقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، وتصريحاته المشينة في حق الشرقيين[5]. فتأثر الزاهري بذلك، وضم صوته للمنتقدين لهذا التعيين لحساسية المنصب وخطورته من جهة، وبدافع الغيرة على الدين، ونبي الأمة من جهة أخرى، فكانت قوميته العربية والإسلامية هي المحرك الأول لهذا الرفض.

كما كانت للزاهري وقفة مع السجالات الأدبية التي عرفتها الساحة الأدبية في المشرق، وأثارت الكثير من الانتقادات، فأخذت حيزا من الصحف المشرقية التي دونت هذه المعارك بين مؤيد ومعارض. وربما كان سلامة موسى(1887-1958)، وعلي عبد الرازق (1880-1966)، وطه حسين (1889-1973)

---

[1]-محمد ناصر: المقالة الصحفية، ج1، ص62-63.

[2]- محمد السعيد الزاهري: " مكانة مصر في المغرب العربي"، مجلة الرسالة، ع135، 3 فيفري1936، ص180.

[3]- المقال نفسه.

[4]- المقال نفسه.

[5]- الزاهري: "شؤون وشجون"، مجلة الصراط السوي، ع 14، 15رمضان1352هـ/ 18ديسمبر1933م، ص4.

من أكبر الشخصيات التي تحركت الأقلام بنقد أعمالهم، التي كان مضمونها جريء من حيث الطرح، وأتت بفرضيات وإيديولوجيات استفزت العلماء في دينهم وأعرافهم وقوميتهم، وكادت أن تشكل منزلقات فكرية تمس الدين الإسلامي وعقيدته، لولا تصدي علماء ومفكري الإسلام لهم. وانتقل صداها إلى المغرب العربي، فشاركت النخبة من المفكرين في هذه النقاشات والسجالات.

وأثارت كتابات طه حسين الكثير من الجدل، وجرته إلى المحاكم، خاصة كتابه: "في الشعر الجاهلي"[1] الذي أثار استنكار الزاهري، وانتقذه نقدا لاذعا في مقال بعنوان: "الدكتور طه حسين شعوبي ماكر"[2]، ومس هذا النقد مؤلفاته (في الشعر الجاهلي، المجمل، في الصيف)، ووضعه الزاهري في مرتبة العميل الذي يُسوِق للأفكار التي تخدم الإستعمار.

وتطلع الزاهري لكل ما هو مشرقي، فراسل العديد من الصحف والمجلات، كجريدة المقتطف[3]، التي وصفها بقوله: «...والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة، ويعلمنا الحياة والحكمة في أسلوب ساحر لذيذ...».[4]

إلا أن افتقادنا لجميع أعداد هذه الجريدة، قد فوت علينا متعة تتبع كتاباته –الزاهري– في هذه الجريدة، والمواضيع التي تناولها، فلم نعثر على مقالاته التي أرسلها لها فيما توفر لدينا من أعداد المقتطف[5].

ومن جهة أخرى كان الزاهري مُقِلا في كتابته لها، فكان قارئا وفيا لها. وكل ما نعلمه أنه راسل المجلة بمقالين؛ الأول تحت عنوان: "هل البربر عرب؟ وهل لغتهم ضاد أخرى" والذي أشار له في مجلة الرسالة[6]، كما أشار له أنور الجندي في كتابه: "الفكر والثقافة المعاصرة"[7]ومقال ثان عن محمد بن أبي شنب بعد

---

[1]– هو مجموعة دروس في الأدب الجاهلي، ألقاها طه حسين على طلابه (1926) ثم جمعها في كتاب. واعتبر طه حسين في هذا الكتاب أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب في تلك المرحلة، وجره هذا المنطلق إلى انكار قصة إبراهيم وإسماعيل، وإنكاره للقراءات السبع، وبأنها ليست وحيا، وإنما هي قراءة استعملها العرب الذين قرأوا بها كما استطاعوا. كما طعن في نسب النبي صلى الله عليه وسلم. وأنكر أيضا فيه امتداد الإسلام إلى دين إبراهيم. الأمر الذي أثار خاصة الناس وعامتهم، وجعلهم يشكونه للنائب العام بالحكومة المصرية. للمزيد انظر: عبد المتعال الصعيدي: القضايا الكبرى في الإسلام، دار الشريفة، الجزائر، ص428 وما بعدها.

[2]– الزاهري: "الدكتور طه حسين شعوبي ماكر"، مجلة الصراط السوي، ع14، 19جمادى الثانية، 1352هـ/ 9 اكتوبر 1933م، ص4-5.

[3]– المقتطف مجلة علمية أصدرها في بيروت (1876) يعقوب صروف ونمر فارس، وانتقلت إبتداء من 1884 إلى مصر، تناولت مواضيع مختلفة؛ كالصناعة والزراعة وتدبير المنزل والتقاريظ والمسائل والأخبار. واستمرت هذه المجلة إلى غاية 1952. للمزيد انظر: الفيكونت فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، ج2، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص125. وعلي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1791-1914)، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، 1978، ص212-213.

[4]– صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، ص140.

[5]– الأعداد التي حصلنا عليها متفرقة ما بين 1900إلى 1906. وأعداد أخرى متفرقة من عشرينات القرن العشرين.

[6]– المقتطف، يوليو 1934، نقلا عن: مجلة الرسالة، ع125، السنة الثالثة، 28 شعبان 1354هـ/ 25نوفمبر 1935، ص1916.

[7]– أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ /1965م، ص 98.

وفاته[1].

كما راسل الزاهري أيضا مجلة الفتح[2]لمحب الدين الخطيب(1886-1969)، في وقت مبكر من مشواره الصحفي، في مرحلة العشرينات من القرن الماضي. فكان ضمن باقة من خيرة أدباء المشرق؛ كالرافعي وشكيب أرسلان وعبد الوهاب عزام ومصطفى أحمد الرفاعي وغيرهم كثير. وقد كانت للزاهري فيها سلسلة مقالات، تصدرت بعضها افتتاحية المجلة, وقد لاقت هذه المقالات استحسان القراء، الأمر الذي دفع محب الدين الخطيب لجمعها -المقالات- في كتاب: "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"[3]والذي قدم له محب الدين بقوله: «هذه الفصول كتبها أخي في الدعوة الأستاذ محمد السعيد الزاهري لتنشر في صحيفة الفتح، فرأيتها مثالا صالحا للدعوة للخير وما يجب أن يكون عليه الداعي من بصيرة وحكمة لذلك استخرت الله عز وجل في إفرادها بهذه النشرة»[4]، وأشاد به الكثير[5]، وتمت ترجمته إلى الفرنسية، وفصل واحد منه إلى لغة الملايو[6].

---

[1]- عنوان المقال: "صفحة مجيدة من رجال الأدب والعلم في الجزائر"، انظر: صالح خرفي: المرجع السابق، ص129.

[2]- جريدة الفتح (1926-1947) صدرت أحيانا شهرية، وأحيانا أخرى أسبوعية. عرفت بنفسها كونها صحيفة إسلامية علمية أخلاقية، تولى عبد االباقي سرور نعيم رئاسة تحريرها في العامين الأولين، ثم محب الدين الخطيب، شملت مواضيعها كل العالم الإسلامي، وتناولت قضايا الاستعمار وفضح أساليبه خاصة في أقطار المغرب العربي، وقاومت التغريب والغزو الفكري والثقافي وأعمال دعاة الإلحاد.للمزيد: انظر: أنور الجندي: تاريخ الصحافة الإسلامية، ج2، (الفتح-محب الدين الخطيب)، دار الأنصار، مصر.

[3]- صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عن المطبعة السلفية في القاهرة 1926، وطبع مرة ثانية بمطبعة الاعتدال بدمشق 1933، وطبعة ثالثة بدار الكتب، الجزائر.

[4]- صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، ص14.

[5]- كشكيب أرسلان (1869-1936) الذي راسل الزاهري برسالة عبر فيها عن إعجابه بفصوله، واستدل به على وجود أعمدة أدبية وعلمية في الجزائر؛ كالزاهري وابن باديس والعقبي والميلي ودعاه إلى المثابرة والمزيد. وأحد مراسلي الفتح الأستاذ محمود ياسين من دمشق والذي كان يتتبع فصول هذه المقالات، ويراسل المجلة بمقالات أسماها سربي وساءني، يبدي فيها ما أعجبه مما كتب الزاهري، وما أساءه. بالإضافة إلى الآنسة تفيدة علاّم المدرسة الثانوية التي راسلت الفتح أيضا وأثنت عليه خاصة بفصل: الكتاب الممزق. كما نوهت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعبارات الثناء عن هذا العمل، وبأنه دليل على وجود نهضة أدبية. للمزيد ينظر: الزاهري: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب، الجزائر، د.ت (المقدمة). نقلا عن أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص34-35.

كما نوه به عبد الحميد بن باديس في عموده المعنون: ثمار العقول والمطابع، بقوله: «عرفنا الشيخ السعيد الزاهري خنديذا وعرفناه كاتبا رحب البيان وعرفناه في الكتاب داعية إسلاميا كبيرا، فقد خاض في مسألة الحجاب والمرأة الجزائرية ومسألة الإسلام والتغريب والشبيبة المتعلمة، فأبان من الحقائق وأقام من الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم -إذا أنصف- إلا بالإكبار والتسليم وساق ذلك كله في أسلوب من البلاغة الشبيه بالروائي سهل جذاب لا تستطيع إذا تناولت أوله أن تتركه قبل أن تأتي عن أخره»، الشهاب، مج7، ج12،شعبان1350/ ديسمبر1931، ص793.

[6]- رغداء محمد أديب زيدان: «محمد السعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية...»، مقال سابق، ص74.

ويتألف الكتاب من سبعة فصول وخاتمة؛ يتناول كل فصل منه بأسلوب قصصي جذاب، ومن ذلك: عائشة، الكتاب الممزق، صديقي عمار، طلبة إفريقيا الشمالية، مع أديب إسباني في أحد منتزهات وهران، في الأندلس المسيحية، كيف يغوون شبابنا[1].

واستطاع الزاهري بأسلوبه الروائي، أن ينقل الواقع الجزائري، بصورة مازج فيها بين الخيال والواقعية إلى وسط بعيد عن الجزائر، عرفه وفق منهج قرآني مصداقا لقوله تعالى: ﴿***لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب***﴾[يوسف111]، نستشف منه العبر والدروس بعيدا عن الأسلوب الخطابي والتوجيهي الجاف.

كما اختار محب الدين الخطيب هذا الكتاب من ضمن قطوفه التي جمعها في الحديقة[2]، حيث أعاد نشر الفصلين الأولين منه (عائشة) [3]، (الكتاب الممزق).[4]

ولم يخف الزاهري بدوره اعجابه الكبير بكتاب الحديقة في محادثة جمعته وعمر راسم (1883_1939) الذي نشره في جريدة الفتح بقوله: «هي حديقة في الأدب العربي فيها من كل الثمرات وفيها من كل الأزهار والورود وفيها من كل رزق كريم...يقرؤها المؤمن فيزداد إيمانا، ويقرؤها الشرقي الخامل فيشعر أن في نفسه عزة وإباء...».[5]

وفي العموم يمكننا القول؛ بأن الزاهري تميز بزخم فكري كبير، ونشاط متميز، فواكب قضايا بلاده بقلمه، وراسل صحفا مشرقية أخرى في نفس الوقت. تجاوب فيها مع القضايا السياسية والسجالات الأدبية، مما يعكس ولوعه بالمشرق ونهضته الفكرية والأدبية، فقد عالج العديد من المسائل عبر صفحاتها، عكست النهضة الأدبية والفكرية التي نمت وبدأ عودها يشتد في الجزائر، كما عكست فكره المتحرر.

4.مراسلات الزاهري لمجلة الرسالة:

وهي إحدى النماذج، التي ارتأينا أن نجعلها نموذجا لكتابات الزاهري ومراسلاته للصحف المشرقية لجملة أسباب نذكر منها؛ أن هذه المراسلات لم تنل حظها من البحث، ومن تناولها كانت من جملة

---

[1]- الشهاب، مج7، ج12، شعبان1350/ ديسمبر1931، ص793. و رغداء محمد أديب زيدان: المقال السابق، ص74 وما بعدها.

[2]- كتاب الحديقة أصدره محب الدين الخطيب ضمن سلسلة من كتب مكتبة الجيب، جمع فيه صاحبه ما انتقاه من خيار ما ألف من صحف وكتب، طبعه في أجزاء متتابعة في المطبعة السلفية التي كان يمتلكها ابتداء من عام 1341هـ إلى 1354هـ، وطبع أجزاءها في طبعتين. انظر: محب الدين الخطيب: الحديقة (مجموعة أدب بارع وحكمة بليغة)، اعتنى بها: سليمان بن صالح الخراشي، مج1، مكتبة السلفية، مصر، ط2، 1432هـ/2011م، (مقدمة الخراشي) ص7، و(مقدمة الخطيب) ص27.

[3]- المصدر نفسه، مج2، ج8، ص957-960.

[4]-المصدر نفسه، مج2، ج8، ص960-964.

[5]- صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، ص114-115.

اشاراته إلى مراسلات الرجل المشرقية دون تفصيل، بالإضافة إلى اكتمال أعداد هذه المجلة لدينا، مما يسر لنا القيام بمسح لأعدادها، وحصر مشاركة الزاهري فيها. واسهاما منا في إماطة اللثام عن جانب مضيء من الإرث الفكري والثقافي لهذا العلم، عسى أن تكتمل الصورة عن جهوده الفكرية والاصلاحية.

- **تعريف مجلة الرسالة**: لصاحبها ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات[1]، وهي مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، صدر أول عدد منها في 15 يناير 1933 وتوقفت في 23 فبراير 1953[2] صدر خلالها 1025 عددا. وفي هذه المدة الطويلة التي ناهزت العشرين سنة، كانت الرسالة بمثابة مدرسة أدبية لمعظم أدباء الأقطار العربية، وقد تركت أثرا بعيدا في تطوير الأدب العربي المعاصر، وربطت القديم بالحديث ووصلت الشرق بالغرب[3]. فكانت منبرا للأدب الراقي والرفيع، جمعت الصفوة من نخبة النهضة الفكرية خلال مدة صدورها؛ كالزيات، وطه حسين، ومصطفى الرافعي، وزكي مبارك، وأحمد أمين...الذين أثروا بدراساتهم ومقالاتهم الهادفة صفحاتها، والتي شهدت أيضا معاركهم الأدبية، كما تفتحت المجلة على الثقافة العالمية بترجمة أعمال أدبية أجنبية.

والمطلع على هذه المجلة يلحظ شح مادتها، إن لم نقل إنعدامها فيما تعلق بالمغرب العربي أو الجزائر، اللهم إشارة بسيطة التي أشار فيها الزيات إلى أوضاع العالم الإسلامي، في معرض افتتاحيته بمناسبة العام الهجري الجديد (1353هـ)، قال فيه: «في الجزائر وتونس ومراكش قلوب تذوب من حرارة الظلم ورؤوس تدور من خَدَر السياسة وشهداء في سبيل الوطن والذين يخطون لأبنائهم بدمائهم وصية المستقبل»[4]. رغم أنه كان في الجزائر أصوات بدأ يعلو صيتها ومجلات وصحف لها مكانتها, وهو الأمر الذي عابه فرحات الدراجي(1906-1951) في كلمة عتاب انتقد فيها بشدة تجاهل المشارقة لهم، وخص منهم مجلة الرسالة والزيات بكلام لادع، عندما لم يلتفت صاحبها لتقريظ سجل الجمعية المُهدى إليها، بينما اهتمت المجلة

---

[1]- أحمد حسن الزيات (1885_1968) ولد بمحافظة الدقهلية بمصر تعلم مبادئ العلوم، وحفظ القرآن في كتاب القرية، ثم التحق بالأزهر وعمره ثلاثة عشر سنة، قضى به عشر سنوات تعلم فيها العلوم الشرعية والأدبية، ثم التحق بالجامعة الأهلية أين تتلمذ فيها ثلة من المستشرقين وتخرج منها سنة 1912، درس إلى جانب عمله كأستاذ في المدارس الأهلية الحقوق، وتعلم الفرنسية، كما عين بالجامعة الأمريكية كرئيس لقسمها الأدبي، وأستاذا بدار المعلمين في بغداد. ثم انقطع عن التدريس، واهتم بالصحافة والأدب فأنشأ مجلة الرسالة (1933)، وألف تاريخ االأدب العربي، وأصول الأدب والدفاع عن البلاغة. ويعد الزيات من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، وعضوا بارزا من أعضاء المجامع العلمية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد. للمزيد: انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج11، ط1، دار الجيل، بيروت، 2006، ص364-366.

[2]- كتب الزيات في افتتاحية آخر عدد منها مقال جد مؤثر، بعنوان: "الرسالة تحتجب" عدد فيها أسباب احتجابها. مجلة الرسالة، ع1025، 7 جمادى الثانية 1372هـ/ 23 فبراير 1953.

[3]- أديب مروة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص446.

[4]- مجلة الرسالة، ع 42، السنة الثانية، 9 محرم 1353هـ/ 22 أبريل 1934م، ص2.

على رأيه بالكتابة عن راقصات أروبا وكلب العقاد وسنور المازني[1].

كما وجهت الرسالة من جهتها إعلانا، خصت به المغاربة، ضمن ركنها البريد الأدبي، والذي عادة يستقبل المراسلات القادمة من كل أنحاء البلاد العربية، وطلبت منهم عدم الكتابة لها بالخط المغربي الذي يتطلب وقتا لقراءته، وألحت على ضرورة كتابة أعمالهم -المغاربة- بالخط المعروف (المشرقي) أو الآلة الكاتبة[2].

أما عن اسهامات الزاهري في هذه المجلة، فكانت عن طريق المراسلة، وكان لها وزنها الأدبي، وقيمتها العلمية؛ وهي أربعة اسهامات في أعداد متفرقة من المجلة، نرتبها حسب تاريخ نشرها:

- اللغة السيوية بربرية[3]، الذي نشره الزاهري ضمن البريد الأدبي في مراسلة منه للمجلة ، وفي الحقيقة لا يمكننا اعتباره مقال بل هو تعقيب عن موضوع نشرته المجلة في عددها (121) للأستاذ محمد ثابت، أكد فيه صاحبه على أن اللغة السيوية لغة بربرية[4]، وهو ما وافقه عليه الزاهري، وأضاف إلى ما يقول حججا أخرى، يثبت بها أن بعض الألفاظ لازلت مستعملة وهي بربرية، كما أكد على عربية اللهجة البربرية، واعتبرها من اللهجات السامية، التي استقلت عنها بتباعد الزمن، وأشار إلى مقاله الذي تناول فيه المسألة: "هل البربر عرب وهل لغتهم ضاد أخرى" الذي نشره في مجلة المقتطف بتاريخ يوليو 1934[5]الذي أكد فيه بالحجج على أن أصل البربر عربي، وفند بالأدلة الأقوال التي تثبت لاتنيتهم، وهو المسلك الذي سلكته فرنسا للتشكيك في أصل البربر، بهذف فصلهم واقتلاعهم عن أصولهم العربية.

- مكانة مصر في المغرب العربي[6]؛ وهو مقال طويل من ثلاث صفحات، أثار فيه الزاهري مسائل في غاية الأهمية، بيَّن فيه مدى لهفة المغاربة والجزائريين لكل ما هو مصري، كأخبار الفنانين من أمثال أم كلثوم، وعبد الوهاب، سامي الشوا، والتي كانت تصلهم عن طريق الفنوغراف، واقتناء اسطواناتهم، ولو بأبهض الأثمان، والإقبال على عروض أفلامهم بحماس وشوق. كما أكد صدى مصر على الحياة الاجتماعية والعقلية والعلمية والصوفية والدينية، الذين تجمعهم وإياهم روابط من النسب والحضارة.

---

[1]-مجلة البصائر، ع89، 29رمضان 1356هـ/3ديسمبر 1937، ص2.

[2]- مجلة الرسالة، ع 166، السنة السادسة،21جمادى الآخرة 1355هـ/ 7سبتمبر 1936م، ص1480.

[3]- مجلة الرسالة، ع 125، السنة الثالثة، 28 شعبان 1354هـ/ 25 نوفمبر 1935م، ص1916.

[4]- نسبة إلى سيوة، وهي واحة في الصحراء الغربية المصرية، يسكنها أمازيغ مصر، يتحدثون بلهجة خاصة (سيوية)، إضافة إلى لهجتهم المصرية، وأهل سيوة هم أمازيغ مصر، تجمعوا فيها بعد هجرات تعود إلى ألاف السنين.

[5]-أشار أحمد لعجال، أن هذا المقال نشره الزاهري في مجلة الزمان التونسية، ع221، السنة 6، 14 أوت 1934، ص2-3. انظر: أحمد لعجال: الخطاب الإصلاحي، ص186. وهو المقال نفسه الذي نشره الزاهري في المقتطف، والذي أشار إليه أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة، ص98، وعلى ما يبدوا أن الزاهري أعاد نشره في مجلة الزمان.

[6]- مجلة الرسالة، ع 135، السنة الرابعة، 3 فبراير 1936، ص178-180.

كما أشار الزاهري في نفس المقال لموضوع خطير، حاول الفرنسيون جهدهم لترسيخه بكل الوسائل، بهذف فك روابط العروبة بين أقطار العالم الإسلامي؛ وهي مسألة التواصل اللغوي فيما بين أطراف العالم الإسلامي، وقالوا بأن الشعوب العربية تتكلم بلغات مختلفة بعيدة عن اللغة العربية، قياسا على اللاتينية. كما استنكر في الأخير تصرفات بعض المتشبثين بفكرة فرعونية مصر بقصد اقصائها عن العروبة والعرب، وضمها إلى حضيرة الغرب. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الزاهري في هذا المقال سبق فرحات دراجي، في إلقائه باللائمة والعتاب عن تجاهل المصريين، الذين يخطئون في أسماء مدن المغاربة وشخصياتهم[1].

– صورة من المجتمع الجزائري، إني أرى في المنام[2]؛ وهي قصة صاغها الزاهري بحبكة متينة، تروي حيلا استعملها أحد شيوخ الطرق الصوفية ليسترزق بها, وقد صاغها وفق بناء قصصي حديث فابتدأها من النهاية، ثم سرد تفاصيلها من البداية. وللزاهري إرث فكري وإصلاحي حافل بهذا النوع الأدبي، الذي جعل منه قالبا يصب فيه أفكاره ومنهجه الإصلاحي، بدأً من قصة "المساواة وفرنسوا والرشيد" في أول جريدة له الجزائر (ع2، 10 أوت 1925)، لذلك عدّه عبد المالك مرتاض رائدا لهذا الفن، واعتبر هذا العمل أول محاولة قصصية في تاريخ الأدب القصصي في الجزائر[3]، رغم نقائصها الفنية، وما تقتضيه القصة القصيرة من فنيات.

لكن الذي يعنينا هنا، هو مقصده من توظيفه لهذا الفن الأدبي لمعالجة هذه المسألة، فالمعلوم عندنا أن الزاهري أعلن الحرب على الطرقية مبكرا، وصفحات مجلة السنة والشريعة والصراط شهود على ذلك. وما هذا المقال القصصي الذي أرسل به إلى مجلة الرسالة إلا حلقة من حلقات هذه المعركة، التي أتقن فيها الزاهري من موقعه كمصلح، فضح أساليب الطرق الصوفية وخرافاتهم وأباطيلهم. وعليه فالزاهري لم يكن يقصد الكتابة في هذا النوع الأدبي لذاته، وإنما استخدمه كوسيلة إصلاحية لمعالجة الأمراض الاجتماعية التي زكاها الاستعمار الفرنسي.

كما أن من مميزات الزاهري في سرده القصصي هذا، صدق مشاعره، الذي يصعب على القارئ التمييز بين الحقيقة والخيال فيها.

وللاشارة أيضا فإن مجلة الرسالة عرَّفت بالزاهري في هذا المقال على غير عادتها، بكونه عضوا بجمعية العلماء المسلمين.

---

[1]– حيث قال في ذلك: «على أن هذه الصحف المصرية الكبرى لا تهتم ببلاد المغرب إلا قليلا ولا تتكلم إلا كما تتكلم عن مجهل من المجاهل التي لم تطأها قدم انسان، فمن خلط في أسماء المدن المشهورة بالمغرب وفي أسماء الأشخاص البارزين، إلى حوادث تحوكها عن المغرب وتخبط فيها خبط عشواء...». ينظر: مجلة الرسالة، المقال نفسه، ص180.

[2]– مجلة الرسالة، ع145، السنة الرابعة، 13 أبريل 1936، ص583-585.

[3]– عبد المالك مرتاض: «صورة المقاومة الوطنية في قصة فرنسوا والرشيد للزاهري»، مقال سابق، ص34.

– المطابع السارقة[1]؛ وهي المراسلة الثانية التي تقدم بها الزاهري إلى مجلة الرسالة ضمن بريدها الأدبي؛ تحدث فيها عن أحد الطابوهات المسكوت عنها، والتي ألحقت الضرر بالحركة الأدبية في مصر، وغبنت معها أدباء العرب في ذلك العصر، وهي المطابع السارقة التي يسعى أصحابها للربح السريع على حساب الجهد الفكري للأدباء، وذلك بطبع أعداد اضافية وبيعها عن طريق عملاء لصالح هذه المطابع، بسعر زهيد عن سعرها المعتاد، وهو الأمر الذي وقف عليه الزاهري بفاس المغربية أيضا، فلم تقتصر على مصر فقط، بل عمت مختلف البلاد العربية، والتي كانت تصلها من مصدر واحد هو المطابع السارقة، لذلك رأى ضرورة تدخل الحكومة المصرية لوقف هذه الحركة التي أضرت بمصر وبالحركة الأدبية في العالم العربي.

ونستشف من خلال هذه الأعمال التي أرسل بها الزاهري إلى مجلة الرسالة، أنها شملت مواضيع حضارية وفكرية وإصلاحية وأدبية، تمس الجزائر ومصر والعالم العربي والإسلامي ككل. أثبت فيها الزاهري عن قدراته في النقاش والتحليل، مسايرا في ذلك قضايا عصره والحركة الأدبية العربية. فعلى نفس منهج ومواضيع المجلة كانت كتاباته التي غطت المدة الزمنية (1935-1938)، وشهدت نضجه الفكري، وإرهاصاته الفكرية والإصلاحية التي بدأ يسلكها وفق قناعات جديدة في منهجه الإصلاحي.

وأسلوب الزاهري في هذه الكتابات التي خص بها مجلة الرسالة لا تقل عن نظرائه من الأدباء والعلماء المصلحين المشارقة؛ فبلغة بسيطة وألفاظ بعيدة عن الزخرفة والتصنع، اهتم فيها بالمعاني لا مباني الألفاظ، عالج فيها مواضيعه بأسلوب حديث وبسيط في نفس الوقت، متأثرا في بعضها باللفظ القرآني، الذي وظفه توظيفا مناسبا كقوله في مقاله "إني أرى في المنام": «خرج من السوق خائبا مكتئبا ملامحه عليها غبرة ترهقها قترة». «وإن من اتبع الشيخ فجزاؤه عند ربهم جنات عدن يدخلونها، وإن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير»[2]. كما بدى واضحا أيضا محاكاته لبعض أدباء المشارقة، خاصة الرافعي (1880-1937) الذي كتب في الرسالة أجمل قصصه الدينية والأخلاقية ما بين 1934-1937[3]، وهي نفس الفترة التي راسل الزاهري فيها المجلة، وما من شك أن الزاهري اطلع على مؤلفات الرافعي وتأثر بها.

ومما نلمحه أيضا في هذه الكتابات، جرأة في الطرح؛ فلا يجامل ولا يداهن، وإنما يذكر الحقائق كما هي، فنراه ناقدا لتجاهل أهل مصر للمغاربة، وخلطهم لأسمائهم ومدنهم، كما أبدى رأيه بصراحة في بعض فناني مصر دون أن يخشي لومة لائم، فعبر عن عدم إعجابه بعبد الوهاب وشريطه الوردة البيضاء، دون أن

---

[1]– مجلة الرسالة، ع250، السنة السادسة،17 صفر 1357هـ/18 أبريل 1938، ص677.

[2]– مجلة الرسالة، ع145، 13أبريل 1936، ص583.

[3]– جمع الرافعي هذه المقالات في كتاب وحي القلم، من ثلاثة أجزاء، وكان أخر عمل قام به قبل وفاته سنة 1937. انظر: الرافعي: وحي القلم، ج1، السلسلة الأدبية الأنيس، الجزائر، 1991، (المقدمة).

يلتفت لما لاقاه هذا الشريط من إقبال الناس، وتلهفهم عليه.

الخاتمة

وفي الأخير نقول أن الزاهري ينطبق عليه قول أبي تمام[1]:

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

فقد اهتم بهموم وطنه الأم، ولم يغفل عن قضايا الأمة العربية والإسلامية، فرسم صورة من صور التقارب المشرقي المغربي، وشكل حلقة من حلقات التواصل الفكري الأدبي، رغم الظلام الحالك الذي فرضته فرنسا على شعبه وبلاده، والقيود التي وضعتها لفصل الجزائريين عن هويتهم وقوميتهم العربية الإسلامية، بجدار من القوانين والممارسات والتعتيم الإعلامي. فكان تواصله مع المشرق وصحفه خاصة المصرية منها، يمثل قمة التحدي للمخططات الفرنسية، ونخص بالذكر تواصله مع مجلة الفتح التي منعتها السلطات الإستعمارية من دخول الجزائر.

فالزاهري همزة وصل ونافذة مفتوحة، شارك المشارقة في قضاياهم الفكرية واللغوية والأدبية، ونقل صورة عن الجزائر، وأوضاعها الاجتماعية والدينية والفكرية إلى أفاق أخرى أوسع من البوثقة التي حصرتها فرنسا فيها. كما أثبت أن في الجزائر أقلاما، كالإبراهيمي والعقبي وابن باديس ، لهم مكانتهم وكتاباتهم وأراؤهم التي تثبت ذاتهم واستقلال أرائهم الفكرية دون نفي التأثر بالمشرق ورجاله.

كما نخلص أيضا في ختام هذا المقال، أن موضوع شخصية الزاهري لازلت ميدانا خصبا، بحاجة إلى البحث والدراسة، وتناوله من مختلف مناحي حياته الإصلاحية والتعليمية، والسياسية والصحافية والأدبية، والتي تعكس تاريخ الجزائر الفكري والإصلاحي، بقراءة جديدة غير التي عهدناها عند باقي رجال الحركة الإصلاحية.

[1]– أبو تمام: ديوان أبي تمام، تقديم: محي الدين صبحي، مج1، ط1، دار صادر، بيروت، 1997، ص126.